من المنهل الصافي

قل الله أعبد مخلصا له ديني

للشيخ عبد الله المحمد الغنيمان
المدرس في كلية الشريعة في الجامعة

أحمد الله ربي وأسأله العون والتوفيق وصلى الله وسلم على عبده ورسول امام الحنفاء وخاتم المرسلين وبعد : سأحاول أن أضع بين يدي القارئ كلمات يسيرة في أهم الواجبات وأصل الأصول توحيد الله ومعرفته مستمداً ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

من المعلوم المسلم به عند علماء الدين والاجتماع أن العبادة في الانسان ركيزة فطرية . فلا بد له من معبود فإن لم يعبد الله المستحق للعبادة عبد عدوه الشيطان ولا بد ، على اختلاف مظاهره اما في مظهر انسان محبوب أو شيخ معظم أو رئيس أو قبر أو حجر وربما معدته وشهوته قال تعالى « أرأيت من اتخذ إلهه هواه » حتى أولئك الملاحدة الذين يقولون أن الدين أفيون الشعوب هم في الحقيقة لا ينفكون عن العبادة اما عبادة بطونهم وفروجهم وشهواتهم أو عبادة رؤسائهم وسادتهم .

الخلق كلهم عباد الله تعالى :

العبد في اللغة يأتي بمعنى المعبد الذي عبده الله وذلله وصرفه ودبره كيف شاء وبهذا المعنى فالخلق كلهم عباد لله برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم إذ هو ربهم ومليكهم وقاهرهم لا يخرجون عن مشيئته وقدرته فما شاء كان وإن لم يشاؤوا وما شاؤوا لم يكن

Made With Pdf Office

إن لم يرده فهو تعالى خالقهم ومدبرهم، محييهم ومميتهم لا رب لهم سواه ولا مالك لهم غيره سواء أقروا بهذا أم جحدوه علموه أو جهلوه.

العبادة النافعة المأمور بها شرعاً:

ويأتي العبد بمعنى العابد أي الذي يعبد الله لا يعبد غيره فيطيع أمره وأمر رسوله ويوالي أولياءه المؤمنين ويعادي أعداءه الكافرين والفاسقين والعبد بهذا المعنى هو الذي جاء به القرآن أما المعنى الأول فلم يأتِ إلا قليلاً، فالثاني كقوله «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً» «واذكر عبدنا أيوب» «واذكر عبدنا داود» «واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب» «لما قام عبد الله يدعوه» «سبحان الذي أسرى بعبده» ونحو ذلك كثير ولهذا قال كثير من المفسرين في الاستثناء في قوله تعالى «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» انه منقطع كما قاله ابن كثير وغيره ومما ورد في القرآن في المعنى الأول قوله تعالى «بعثنا عليكم عباداً لنا» والمعنى والله أعلم أن هؤلاء لما كان عندهم من القوة وشده البأس والكبر والعظمة وصفهم تعالى بأنهم عباد له مذللون تحت قهره وتصريفه ليكون ذلك داعياً إلى الرجوع والانابة إليه وأن الأشياء كلها بمشيئته وارادته.

وعبادة الله هي طاعته وامتثال ما أمر الخلق به واجتناب ما نهاهم عنه على ألسنة رسله وهي حق الله على عباده يرضاها لهم ويحب وقوعها منهم ولأجلها خلق الخلق كما قال: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب وهي أول واجب على العبد وأفضل الحسنات وأعظم الصلاح والعدل وهي حق لله على الخلق واجب متعين قال تعالى: «فاعبد الله مخلصاً له الدين» «وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» «رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا» «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين».

وعبادة الله هي توحيده بأمره ونهيه أي أفعال العباد التي تصدر منهم موافقة لشرع الله كالسجود والخوف والرجاء والذبح والنذر وطلب النفع الغيبي وطلب دفع الضر الغيبي أو الذي لا يدفعه إلا الله. كما أن التوحيد يشمل

Made With Pdf Office

الاقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه والمسيطر عليه المتصرف فيه كيف يشاء الخالق الرازق المحي المميت ما شاء كان ولو لم يشأ الخلق وما شاءوا لم يكن ان لم يشأ . لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ، والإقرار أيضاً بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة ، يحب ويرضى ويسخط ويغضب ، ويفعل ما يريد ، السميع البصير الرؤوف الرحيم على العرش استوى ، والملك بيده لـه الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، وهذا قد كان غالب الناس مقرين به لظهوره ووضوحه ، والشرك فيه قليل وإنما الذي وقعت فيه الخصومات والمجادلات بين الرسل وأممهم توحيد المعاملة مع الله تعالى وهو أن يجعل العمل الذي أمر به العبد لله وحده لا يشرك فيه معه أحد من الخلق فمبناه على اخلاص التأله لله من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والانابة والاستعانة والاستغاثة والدعاء والذبح والتوبة والرغبة في دفع المكروهات وغير ذلك من أنواع العبادة ، فإخلاص هذا وما أشبهه من العبادات لله وحده هو معنى لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي يألهه القلب بالحب والخوف والإجلال والتعظيم والخشية وهذا لا يصلح إلا لله ، فيجب أن يكون خالصاً له وهذا هو الذي أرسلت له الرسل وبه نزلت الكتب من الله بل من أجله خلق الله الخلق والجنة والنار وبه صار الناس فريقين : أشقياء أعداء لله بعداء من رحمته وكرمه وهم الذين لم يقبلوه ولم يعملوا به ، وسعداء أحباء لله مقربين لديه لهم النعيم الذي لا ينقطع قال تعالى : « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » وقال هود عليه السلام لقومه « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » وهكذا كل رسول يأمر قومه بأن يجعلوا العبادة لله وحده وقال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » أخبر تعالى أنه أرسل في كل طائفة من الناس رسولاً يدعوهم إلى توحيده بالعبادة ومجانبة الطاغوت والطاغوت هو كل معبود دون الله حاشا رسل الله وأولياءه الساخطين

Made With Pdf Office

لذلك وكذا من نازع الله في أمره وتشريعه للعباد فجعل قانوناً يعمل به عوضاً عن قانون الله وشرعه فالفاعل لذلك من أكبر الطواغيت التي يجب الكفر بها والابتعاد عنها وذكر جل وعلا أن الناس بعد ارسال الرسول انقسموا إلى فريقين فريق منّ الله عليه بالهداية إلى التوحيد فقبله وعمل به وآخر أبى ذلك ورد دعوة الرسول فحقت عليه الضلالة « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » وقال تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » ومثل هذه الآيات في القرآن كثير بل جل القرآن في ذلك ، إما أمر به أو نهى عن ضده أو ما ينقصه ويذهب كماله أو في جزاء أهله عاجلاً وآجلاً أو في ذكر ما فعل الله بمن أباه وامتنع من قبوله من العذاب المؤلم وما سيلقاه عند مرده إلى خالقه .

حاجة الخلق إلى تحقيق التوحيد :

ومع ذلك فحاجة الخلق إلى تحقيق هذا التوحيد فوق كل حاجة لأنهم لا يدركون الصلاح واللذة والفلاح والنعيم بدونه فمن أعرض عنه فله في الدنيا معيشة ضنكا ويحشره الله يوم القيامة أعمى وحقيقة العبد قلبه وروحه ولا يطمئن القلب وتسكن الروح إلا بالله بأن يكون وحده إلهه ومحبوبه دون ما سواه ولو حصل للعبد راحة وفرح وسكون ولذة بغير الله فإن ذلك لا يدوم بل سرعان ما ينقلب بؤساً وشقاء وحسرة . ولا بد من مرد الخلق إلى الله فهم فقراء إليه وفقرهم ملازم لهم لا ينفك عنهم وهو الغني بذاته عن كل ما سواه ومع ذلك فالإيمان بالله وعبادته ومحبته والإنابة إليه غذاء الإنسان وقوته الحقيقي وليست عبادة الله تكليفاً ومشقة لمجرد الامتحان والاختبار والتعويض بالأجرة كما يقوله من لم يذق طعم الإيمان من المعتزلة وغيرهم وإذا وقع في أوامر الله وشرعه ما هو على خلاف هوى النفوس مما يشق عليها فإن ذلك ليس هو المقصود بالاصالة وإنما وقع ضمناً وتبعاً وغالب أوامر الشرع قرة العيون وسرور القلب ولذات الأرواح وكمال النعيم مع ارادة وجه الله الإنابة إليه لأنه الإله الحق الذي تطمئن القلوب بذكره .

والناس ليس عندهم للعبد نفع ولا ضر ولا هدى ولا ضلال ولا عز ولا

Made With Pdf Office

ذل ولا خفض ولا رفعه إلا بإذن الله بل الرب تعالى هو الذي خلق العبد ورزقه وبصره وهداه ووالى عليه نعمه تترى فإذا مسه الله بضر فلا يكشفه غيره وإذا تفضل عليه بنعمة لم يرفعها عنه أحد سواه وضر الخلق ونفعهم لا يكون إلا بإرادته وبعد اذنه وهذا لا ينافي فعل الأسباب فهو تعالى الذي جعل لكل شيء سبباً وشرع فعلها للعبد غير أنه لا يجوز له أن يغلق قلبه بغير فاطره وإلهه الحق ولا يعتمد ويتكل على السبب بل يفعل السبب ويتوكل على الله تعالى ويعتمد عليه فإن السبب من جملة المخلوقات التي الاعتماد عليها والتوكل عليها يوجب الضرر والخذلان قال تعالى « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » وما علق العبد رجاءه ورغبته على غير الله إلا خاب وخذل وقد قال تعالى « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً » .

Made With Pdf Office